رحلة الاب ارسانيوس شكري اروتين الحكيم

(تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

وفي اليوم التاسع من شهر آب ورد علينا ايضاً جوق مشايخ من نواحي اسبانيا واخبرونا ان رهباناً من رهبان الروم مع رهبان من مار شعيا قد دخلوا الى عند سلطان اسبانيا وشحدوا فحصل الى جوق الواحد اربعماية غرش احسان وجوق الآخر مايتان غرش لكن بعده الجوقان صارا واحداً والواحد منهم اسمه حاله باشة القدس والآخر باشة الناصرة والبقيـــة اسموا حالهم برتجية لبنان وكسروان وكان كل من يراهم يهزأ بهم ويقسون قلب بعضهم لكي لا احد يعطيهم احساناً ولا عادوا يحسنون الى شرقي وجاؤا الى ورسالية قبلنا لكي ينتظروا السلطان والسلطان والوزراء ما عادوا يريدون ينظرون مثل هؤلاء .

وبقينا نحن مثل الكارى من غير خمر لان مثل هذه الامور تضرنا كثيراً لان السلطان بعد ان قبلنا وامرنا ان نذهب الى ورساليه ما عدنا ندري كيف نعمل فاتكلنا على الله تعالى وصلوات الرهبان وبذلك اليوم خرج الاذن من المطران بالشحادة في بهريز وفي ورساليه وفي جميع الابرشية المختصة الى بهريز غير ان المطران امرنا ان نذهب الى عند حاكم البلد لنسجلها عنده وبيت الحاكم بعيد عن مكاننا فخرجنا نركد ذي الكلاب لبيت الحاكم واعطيناه الورقة فلما قرأها اخذه العجب كيف ان المطران اذن لنا نشحد بهريز ستة اشهر فاوعدنا الى ثاني يوم لكي نذهب ناخذ الاذن ومعلومكم المكان بعيد قدر (ص ٥٤) ساعتين وما مطلوب منه سوي وضع خط فتركنا الورقة عنده ومضينا لكي ثاني الايام نأخذها .

الاسرى المسيحيون في مالطة

وفي هذا اليوم وردت اخبار من طرف مالطا بان جميع اليساري الذين في هذه الجزيرة مع باشة رودوس الذي كان قبل دخولنا بقلر عشرة اشهر أخذ يسيراً سبب اخذه صار هكذا وهو ان كليرة Galère رودوس الذي داخلها الباشا كان داخلها يساري مسيحيون فهذه الجماعة رابطوا

مع واحد عبد كان عنده الباشا شكل جزرجي وعملوا معه قولاً ورباطاً
ليهجم في ليلة من هذه الليالي يطلق هذا العبد لكافة اليساري الموجودين
بالكبيرة الذين هم من مالطا واسلامبول ومن غير ضوايف قدر مية وثمانين
يسيراً لكي يقطعوا شغلاً . والعبد المذكور طاوع لقولهم وطلق الجميع
اليساري بالليل وخرجت هذه المية وثمانون شباب واقاموا حرباً بالمركب مع
الترك والكريك الموجودين بالمركب وضربوا سيفاً وقدروا على الجميع واخذوهم
يساري وجيبوهم بالعنبر مع الباشا وساقوا المركب قصدهم اسبانيا .

وسمع هذا الخبر اهل مالطه فعند ورود تلك الكبيره الى نواحي مالطا
لان هذا طريقها فحالاً ارسل سلطان مالطا عليهن جانكجيه وساق
الكبيره بقوة المدافع الى مالطا وصار الباشا مع اتباعه يسيراً في مطا وبعد
زمان قليل وصل (ص ٥٥) الخبر الى اسطنبول بكل ما صار وان الكبيره
والباشا قد اخذوا يساري وان سلطان مالطه طالب من الباشا المذكور ميتين
الف غرش لكي يطلقه فحالاً وزير الاعظم ارسل الى الجي فرنسا رجا
بانه يكتب الى سلطان مالطه او الى سلطان فرنسا بان يطلقوا الباشا مع
الكبيره فكتب حالاً الاجي الى سلطان فرنسا واخبره بهذا فحالاً كتب
السلطان فرنسا الى سلطان مالطه بان يطلقوا الباشا مع كل اتباعه فرضي
سلطان مالطه باطلاقه وارسل من عنده واحداً الى الباشا معتبراً لكي يبشر
الباشا انه مطلوق سلطان فرنسا .

اما الباشا حين وصل لعنده ذلك الرجل فما عمل له ولا ادنى قيمة
ولا نظر اليه غير انه قال له اني انا ماني يسير عندكم ولا احد له علي
حكم وما يسافر من هنا حتى آخذ الكبيره مع جميع ما كان من اليساري
بها وبشر وايضاً يطلب منكم العبد الخاين لكي اقاصصه على جرمه وذلك
العبد المذكور تنصر والسلطان زوجه وعمل له علاقة واعطوه بخشيشاً كبيراً
وعيشه عنده من خدامه الخاص ونحن رأيناه امراراً عنده وتكلمنا معه غير
ان هذا العبد الخاين له نية ردية ورابط مع الباشا رباط شيطاني وهو انه
ربط قول مع اربعة انفار يساري وهم عند السلطان بوظيفة الحراس ليلاً
ونهاراً يحرسون السلطان وهم ربطوا القول مع كافة اليساري المسلمين الذين
بخدمة الاكابر لان كل واحد منهم عنده ثلاثة او اربعة خدمة وهم عايشون
عيشة مثل سناجق مصر واعظم واولئك (ص ٥٦) وبطوا القول مع بقية
الاسارى الموجودين بالجزيرة وصار هذا الرباط يفوق عن الف يسير بان

في وقت صار لهم الخبر والاشارة من الباشا فكل واحد منهم يذبح الشوكل عليه والاربعة مع العبد الخاين يذبحون السلطان ويخرجون الى البلد ويضربون السيف بالبلد لكل من يرونه .

وكتب الباشا المذكور الى تونس الغرب والى طرابلوس الغرب بانهم يرسلون عشرين مركباً محملاً عسكراً وبعد بسلمهم مالطه والعسكر يجي قريب مالطه ويبقى بمكان الى ان يرسل لهم خبراً حالاً يحضروا فأتاه جواب من بهذه الاماكن انهم حضروا له خمسة وعشرين مركباً بخمسة وعشرين الف مقاتل وفي يوم الثلاثي تراهم بمكان الثلاثي منتظرين الاشارة فقط وبومبا مالطه كانت خالية من المراكب والكليرات لان الجميع كانوا مسافرين بسواحي رومية وفلورنسا ولو يسمح الله بوجود العدو تلك الايام ما كان احد يمانع ولا يدافع عن البلد وكانت ذهبت مالطه من اليد .

ولكن انظر تدبير ربنا وهو انه قبل حلول الوعدة التي بينهم وهم منتظروها لاجل اتمام شرهم كشف الله هذا الامر على هذه الصيغة وهو انهم كان من روساء هذا الرباط كام واحد جالسين بقهوة وهم يتحدثون بهذا فاتطلع عليهم واحد ومضى واخبر السلطان بهذا واخبر الى الاكابر فلما سمعوا هذا حالاً قبضوا على ذلك العبد الخاين وعلى اوليك الاربعة المذكورين وعلى بعض من اليساري وهددوهم بالقتل والعذاب فحالاً قرّوا واعترفوا بجميع ما ربطوه الا ذلك العبد فلم يقر ولا بالعذاب واخيراً مات تحت العذاب بعد ذلك اخرجوا جميع الاساري من الخدمة وما عادوا يتركون احداً منهم (ص ٥٧) يقدم بمالطه بخدمه ولا بغيرها ووضعوهم كل اثنين بالحديد واحد . والسلام .

انظر الى هذا المنعوب الشيطاني لو لم ربنا يظهر هذه الدعرة لكانت علمت مالطه . والباشا ما عدنا عرفنا كيف تم امره ثم باليوم العاشر من شهر آب قدمنا باكراً عند رهبان اليسوعية وبعد القداس رحنا اخذنا الورقة الاذن من الحاكم مسجلاً منه وكان الوقت قبل الظهر بنصف ساعة وبعد الظهر اردنا نذهب لعند معلم السلطان لكي نشكر فضله ونريه الورقة لكن منعنا عن ذلك شدة الامطار والرعود والصواعق حتى ظنينا القيامة مزمعة ان تقوم وذلك اليوم العاشر من شهر آب ثم بعد سكون هذه الامطار مضينا لعند المذكور واريناه الورقة ففرح بها جداً ودعا لنا بالتيسير وسألناه اي يوم نذهب الى ورساليه .

ولعلم مدكور يرصل الشايخ توجع لنا كثيراً من حيث حضورهم بمثل هذه الايام وحزن لاجه عرف برجيبر قلنا لي ورسالته فقال لنا ان شوري عليكم لا تذهبوا لي ورساليه ما لم اعطكم خبراً لانكم اذا اوجدتم هناك مع العسكريين يمكن يصير عليكم خطر بسبب ويذهب تعبنا ضائعاً لان الدولة لسه قوقت مثل هؤلاء ولخاف لئلا يصير امر ضدكم يصير الضرر مشترك لكم معهم الاوفق اصبروا لكي كتب لبعض الناس هناك ونظر كيف تدبير الله تعالى فرأينا هذا الرأي الصحيح فشكرنا فضله ورجعنا من عنده على هذا التدبير .

وصرنا نحررين كيف نعمل لان الشدة شحدة بهريز بعد ان يكيد الخوري اوصى الكنيسة تشحد ثلاثة او اربعة ايام وتترك بهريز وتمضي الى ورساليه وفي ورساليه انه يحتاج له شهر زمان واكثر ونرجع الى بهريز ستكون دعوته تنتهي فيعود الخوري يوصي له ثانية فكون تكلفنا وكلفنا الخوري تكليفاً (ص ٥٨) بغير فائدة فاخذتنا الحيرة كيف نعمل فتركنا التدبير الى الله تعالى وحده .

ثم بعد يومين مضينا الى عند معلم الاعتراف السلطان وتكلمنا معه فقال لنا انتا تصبر اثني عشر يوماً الى يوم عيد السلطان الواقع في ٢٥ آب ذلك الوقت نذهب الى ورساليه فرأينا ان المدة طويلة ونحن بغاية الاحتياج فالتزمنا نشحد في بهريز فأخذنا ورقة الاذن وذهبنا لعند خوري كنيسة مار بولس وذلك في ١٦ آب وتوسلنا اليه كثيراً لكي يوصي لنا بالكنيسة لكي ندور نشحد فقال لنا ان امس كان عيد السيدة بما يمكن ان اوصي لكم الآن ذلك ولكن اصبروا الى اليوم التاسع عشر حتى نبصر كيف الامر لانه يوم احد جيبوا ورقة الاذن وقفوا مع الشحادين على باب الكنيسة الذي يريد يعطيكم احساناً فقلنا له يا اباتا نحن قصدنا ندور على البيوت والدكاكين والديورة وعلى كل مكان فقال هذا غير ممكن فقلت له ان سيدنا المطران اعطانا باطنتا اي اذناً على هذا الوجه فقال انا مالي سلطان اعطي هذا الاذن ان كان المطران اعطاكم هكذا دوروا بسلطانه واعطانا غرشين حسنه فرايتا ان هذا التزل خراب الى الشحاده لان حال ما نقف على باب الكنيسة فما يعود احد يعطينا شيئاً ولا يعود اعتبار الى الرهبنة وبعده كل واحد الذي تطلب منه يقول انا اعطيتكم على باب الكنيسة وعزمنا اننا ندور قبل الوصية لان الخوري ما يوصي لنا ما لم نقف في باب الكنيسة .

وفي اليوم الخامس عشر من شهر آب مشينا الى دير هناك على اسم العذرى وسكانه راهبات فقدمنا هناك ودخلنا لعند الريسه توسلنا اليها ان تسمح لنا ان نشحد كنيستها فما امكن تسلم لنا (ص ٥٩) بهذا بل قالت لنا بان ديرها فقير وشحاد واعطتنا غرشاً واحداً واستعذرت بقولها انه غير ممكن ان نشحد احداً لان ديرنا اسبيتال مرضى ويلزمه مصروف كثير فهذا غير ممكن ثم يوم عيد انتقال السيدة بدينا نقدس في كنيسة مار بولص الرسول بكنيسة كاتوليكي برواز وهي كنيسة كبيرة جداً ومن وقت التجر ن بعد الظهر لم تزل القداديس تتقدم لاحقه بعضها على اربعة مذابح والنشر مثل التراب على بعضها وترى الكاهن حين يبدل ويخرج من السكرستية ما له مكان حتى يمر لان اللاوند واقفين صفين فكل كاهن يخرج حتى يقدس يذهب امامه واحد من الصلدات وهو حامل حربة في رأس رمح قصير ولهم شكل ملابس مثل دروع كنايسية من جرخ نصفه احمر ونصفه ازرق ويمضي امام الكاهن حتى يوصله الى المذبح ويعود ومنها لزم لاي كاهن كان من دخول وخروج فيكون واحد من المذكورين امامه وفي ثلاثة اوقات يصير وعظ بالنهار وعند الغروب يصير مخاطبة روحية مع تسابيح للشعب ويصير بركة القربان المقدس بكل احد وعيد وترى الشعب مثل التراب بعباده تحير منها العقول .

وفي اليوم السادس عشر عزمنا على ابتداء الشحاده وخرجنا بعد الظهر بدينا ندور بالبلد الى حكم ثلاث ساعات ما قدرنا نجمع سوى خمسة غروش وربع فقط وخلفنا وامامنا خلق مثل الحرس وكلما وقفنا على دكان تراهم يخافون منا كاننا راتعين ناكلهم ويرون اثوابنا ونحانا فيحيرون كيف يدفعونا عنهم ويقولون لنا اذهبوا الى دير من الديورة امكثوا هناك فرأينا قليلين الذين يريدون يعطونا واكثر عطاهم مصريه فقط واحد اكابر عطانا غرشاً واحداً وكلما دخلنا الى قهوة نصير مضحكة عند (ص ٦٠) البعض والبعض يرقون لنا ويعطونا مصرية ام اقل . ابصر يا سامع كم لزم الى هذه الخمسة غروش تعب وعناء فحالاً رجعنا الى المكان الذي نازلين به من شدة الحيا والخجل مثل الاموات ولكن في هذه الدورة اي مكان ندخل اليه كانوا يعتذرون لنا يقولهم بان الخوري ما وصّى لكم ولا اعطانا خبراً عنكم فمن هذا القبيل التزمنا نبطل الشحادة الى ما تأخذ خاطر الخوري .

فرحنا لعند الخوري في ١٧ آب وتوسلنا اليه حتى انه يرضى ويسمح

له ان نسور ونشحد داخل الكنيسة يوم احد لانا اذا شحدنا في باب الكنيسة ما يجينا غير القليل فا امكن ذلك فارينا عليه جماعة محبّين فا امكن بعده كتبنا له ورقة واعرفنا حالنا لديه وفقرنا وايشقدر رهبنتنا مسكينة ومديونه وعرفنا عن الرسالة التي تعملها رهبنتنا في الشرق وكل هذا ولم يصر فائدة معه بوجه من الاوجه فاستقمنا على هذا الحال الى اليوم العشرون من الشهر ولم نقدر نأخذ خاطر هذا الخوري القاسي ففي تلك الايام كان عيد السلطان الواقع في ٢٥ آب فعزمنا على الرحيل من بيريز الى ورساليه فاخذنا من معلم اعتراف السلطان مكتوب توصية الى معلم اعتراف الملكة وحدّينا على السفر وثاني يوم رحلنا مع قوجيه قاصدين ورساليه وبعد اربع ساعات وصلنا.

ومررنا بطريقنا على اماكن عظيمة منتزهات وبساتين ومقاصف وقصور شيء يعجز عنه النظر حتى لا يمكن ان تتصور ولا تدهن بالدهنات لانه شيء يدهش العقول لانا كنا نظن ان هذا البنا هو خلقة رحمان ما هو بزع ايادي ثم بعد وصولنا الى ورساليه نزلنا في بيت اخت الذي كنا نازلين عندها في بيريز والمذكورة ما وجد عندها بيت فاضي لكي ننزل به فانزلتنا في بيت جارتها ورأينا بان المعاش غالي جداً لان كل يوم يريد لنا مصروف غرشين ولكن المذكورة صار لنا منها اسعاف واخذت منا كل يوم غرش فقط ثم ثاني ذلك اليوم رحنا لعند معلم اعتراف (ص ٦١) الملكة واعطيناه المكتوب الذي له معنا من معلم اعتراف السلطان وتوسلنا اليه جداً واعطيناه الباطنات الذين معنا قرأهم لكي يحكي لنا مع حضرة الملكة لكي تنعم علينا باحسان فقال لنا انه ما يقدر يضمن انها تعطي شيئاً لانها متضايقة كثيراً ولكن يتكلم معها واوعدنا بانه ثاني يوم سيروح لعندها ويرد لنا الجواب ثم اننا خرجنا من عنده ومضينا الى عند مدامة بيرين ريسة اوضة الملكة فقبلتنا بمحبة وبشاشة وسألتنا عن المكان الذي نازلين فيه فاخبرناها عن المكان فقالت لنا انزلوا عند الرهبان فقلنا لها غربا ولا نعرف احداً فقالت انا اليوم ارسل خلف ريسهم واتكلم معه لاجلكم ينزلكم عنده وتوفروا عنكم كل يوم غرشاً ونصف واوعدتنا باننا نرجع لعندها بعد الظهر فعدنا اليها بعد الظهر رأينا ريس الدير الذي اوعدتنا فيه موجوداً عندها مع واحد من رهبانه واستعذر منا وبيّنا انه ما يمكنه يقبل عنده احداً لان عنده مجمع معاملة (...) واقنعنا فخرجنا من عندها بغير فائدة كلياً.

بستان السلطان

ولما خرجنا من عندها كان الوقت بعد الظهر ودخلنا الى بستان السلطان الذي في ورسالبه ذلك المكان الذي يسكت عنه ولا يمكن لسان يقدر يصف قليلاً من كثير الذي رأيناه في هذا البستان اولاً كبر البستان طوله وعرضه سوي على التربيع مقدار مسافة ثلاث ساعات طول ومثله العرض وجميع مفترجات ومناصف عجيبة وغريبة شيء يذهل العقل ويضيع المخيلة ويظن انه منام اولا ارضه مقصوص حشيشها مثل نقش القطائف الرفيع والحشيش ذاته اشكال ابيض وسنجابي واسود واحمر ايضاً ثم الزهور والمزروعات في هذا البستان هي زهور عجيبة مثل زهور الجنة ثم داخله نحو من اربعماية بركة ماء جميعهم من الرخام والسماقي وغير احجار وكل بركة شكل ورسم جديد ثم في كل بركة وعلى كل بركة انواع (ص ٦٢) حيوانات من النحاس الاصفر ومن الرصاص المذهب اشكال والوان كل حوت وكل حيوان قدر عفريت كبير اعظم من جمل او فيل وبعضهم قدر البقر والبغل والماء يخرج من افواههم بطرايق عجيبه وترى البعض منتصبين غير حيوانات والصورات ماسكين حيوانات اشكال والوان واجناس مشتبكين في بعضهم فالجميع تراهم شيء طبيعي كل حيوان لابس ثوبه ولونه من الدهانات الغريبة وما ناقصهم سوى الحركة وكلهم يرمون الماء من مواضع جملة واكثر الماء يخرج غلظ عمود غليظ جداً وعلو مأذنة ثم داخل هذا البستان العجيب بحرتا ماء تمشي بهما شخاتير في كل بحرة عشرة شخاتير جملة وهذه البحرات الماء مليانات حيتان كثيرة ومتى حس السمك باحد ماشي على حافة البحرة يخرج السمك حالا الى وجه الماء لكي يري حاله الى الناس الماشين ويطلب القوت لانهم علّموه هكذا وجميع اشجار هذا البستان تراها كلها شغل مقص منها اسواق وكاكين واقبيه وحيطان شيء عجيب وفي وقت الظهر في شدة الحر تجد هناك برد بين تلك الاشجار وترى اشجار السرو مصنعة مثل القبب والخيام وشكل اللعلع تراه اشياء لا تتشخص الا بالنظر وداخل هذا البستان قدر الفين واكثر قطعة شخوصة رخام ابيض ففي كل شخص قدر آدميين فرد شقفه وتحت كل شخص قاعدة من الرخام طول قامة انسان فرد قطعة وسمكها ذراعان واكثر وهي مشغوله شغلاً يسكت عنه وفيه ايضاً شخوصه من النحاس الاصفر يمكن تقل كل واحد حكم عشرة قناطير وفيه اجران مشغولة صنعة اقداح من

النحاس الاصفر يمكن كل واحد تقله خمسة تناطير وهم ماية جرن برسم الزرع وجميع هذه الاشخاص مع النحاس هم اصنام قديمة كلهم وهذه الانواع الحيوانات التي موجوده على البحرات كلهم وحوش مائية وبرية وانواع الطيور كلهم تراهم اشيا كانهم طبيعية وداير هذا البستان كلها (ص٦٣) مخادع مصنوعة من الاشجار وكلهم روضات وداخلهم الغرادات ورمايات الماء واشخاص ومقاصف وهذه الاشخاص اكثرهم تمنهم ماية الف ثلث (كذا) واكثر ولم يوجد بهم شخص اقل من عشرون الف ثلث ثمنه وهذه الاماكن جميعها مطوقة بالحديد على قامتين وفيها ابواب من الحديد تسمى ابواب الغلالي . ثم يوم عيد القديس لويس كل سنة يفتحون هذه المخادع ويلعبون الامياه في جميع الشخوصة فذلك الوقت ترى العجائب شيء يذهب بالعقل لانه شيء لا يوصف الا بالنظر ترى الامياه نازلة من فوق منحدرة الى اسفل وصاعده من جميع السقوف والحيطان والاراضي من غير ان يبان لها مكان صعود او هبوط ترى من الامياه بصفة قصور وازهار واقبيه عجائب وغرايب كلها من الامياه وترى ايضاً صورًا مثل شمشون الجبار والتنين وجلعاد الجبار وغيرهم من الجبابرة التي صورهم مصنوعة من الرخام وتخرج الامياه من افواههم تحت عمود وعلو مأذنة واعلى بصنع عجيب وترى بعض حيوانات مائية في الماء وهي ترسل الماء من افواهها داخل الماء ثم رأينا في البستان من الارض خارج اصوات غريبة سألنا عنها قالوا لنا هذه كلها موسيقه الماء . رأينا هناك من العواميد سماقي ورخام وزوزوري واصفر وغير الوان قطع يسكت عنها لان كل عمود زلتان لا يقدران يخوطانه وعلو شامخ اكثر من عشرين ذراعاً وكل واحد تحته ركيزة من نوعه مطوقة من النحاس الاصفر الملطوخ بالذهب وقد ضبطنا عدد مكان واحد من العواميد وكان العدد اربع وستين عمودًا من الاحجار المذكورة كلهم مقابلة ودرابزونات هذه الامكنة كلها من الاحجار المذكورة وجميع الارض مبلطة من انواع هذه الاحجار وداخل البستان مقدار ماية درج من الرخام الابيض الصافي وعرض كل درج يصعد عليه اربعون او خمسون نفر جملةً جنب بعضهم ولئلا نطيل الكلام فلنسكت ولنسكت عن وصف هذا المكان الذي ينثني الزمان وفيه ما لا يوصف . (ص ٦٤) قد اخبرونا اناس ثقاة ان الكلفة التي تحت الارض تعادل الكلفه التي فوق الارض وتوف من اشغال الحديد والنحاس والرصاص والعمايير والكلف وكل ماء من هذه الامياه لها مفتاح وحدها وحركة وحدها وقريب من هذا البستان

معمر سبع قلاع من الرخام ومن الحجارة المذكورة ومنهم قلعة واحدة مبنية كلها ارضها وحيطانها وسقفها من الرخام الابيض الشفاف الجلي داخليا وخارجيا ابصر كم مكلفة هذه القلعة وكل قلعة من هذه القلاع لها بستان مثل المذكور اعلاه من الشخوصه والحركات لكن كل ماء وحركه شكل تفرق عن غيره وقريب هذه القلع رأينا مكاناً الى الحيوانات المسمى اصلان خانه مكان الوحوش ورأينا مكان فيه اطيار انواع انواع وحيوانات سباع ونمورد اريل خنزير ضبع طاووس ورأينا جملاً له صنان الصنم الواحد مرخي على ظهره طول ذراع ورأينا عجلاً له في رقبته رجل خامسة وقطاط بريّة كل قط قد معزايه وغير حيوانات لم نعرفهم ولم نعرف اساميهم وكل من هذه الحيوانات له اوضه قايمة بذاتها احسن من اوضة راهب من رهباننا مكلفة وجميع الطرق مقصوصين اشجار مثل القبر المكلف والارض مبلطة كلها .

سراية السلطان

ثم بعده دخلنا الى سراية السلطان (ص ٩٥) في ٢٦ آب تفرجنا على سراية الملكة وعلى سراية الدولفين وسراية بنات الملك في ٢٨ دخلنا سراية الملك وتفرجنا على جميع الاماكن وماذا اقول وماذا اتكلم عن الذهب والفضة والاراضي المفروشة بالمرمر والرخام وتلك الحيطان والنقوش المدهشة والبوشخانات المزركشة بانواع الجواهر والياقيت واللؤلؤ والذهب وتلك الكراسي الذهب. وتلك التخوت التي هي مراقدهم . وعلى الخصوص مرقد السلطان وتلك الثريات البلور وعن تلك التصور البلور ؛ وعن المرايا التي كل واحدة قدر باب خان الصياغة في طرابلس . وعن حيطان المرايا الذين كل مرايه من طول الحيط الى آخره وعن الساعات العجيبة التي لا يمكن عدها من كثرتها .

وعن ساعة الملك الكبيرة . التي هي عجيبة الدنيا لانها حين يصير الظهر . ويصير وقت الذي تدق به ترى يخرج ديك ويحرك جناحيه . ويزعق ثلاثة اصوات مثل صوت الديك الطبيعي لا فرق . ثم بعده ينفتح باب بمصراعين ويخرج ملاك وفي يده تاج ثم ياتي الملك الى باب امام ذلك الباب والملاك يضع التاج من يده على رأس الملك حالاً تسمع دق آلات للموسيقى شي مكلف قدر ربع ساعة تويه مركبة من آلات عجيبة ثم بعد جنيا يخرج عبدان آخران في يد كل عبد طاسة كبيرة شبه ناقوس

الدق ماسكينهم مثل اتراس في يدهم (ص ٦٦) ويأتي اولئك العبيد الاولون الذين في يد كل واحد منهم شكل دبوس من حديد . ويتقدمون امام هؤلاء العبيد ويبتدئون يضربونهم على تلك النواقيس شكل جنك الاوليين يضربون وثانيون يأخذون الضرب بتلك النواقيس التي هي شكل اتراس آخذينهم بايديهم الى تمام المئتي عشر ضربة ثم يرجعون جميعهم يسلمون على الملك الذي هو في نصف الساحة متروج ثم ينصرفون وبعده الملاك يرفع التاج عن راس الملك وينصرف والملك ايضاً ينصرف وتغلق الابواب كما كانت وبها الشمس والقمر مع انتقالاتهما ووقت ولد القمر على الدقيقة وفصول السنة الاربعة والايام والاشهر واسمائهم وغير اشيا وكل هذه الساعة مصفحة بالذهب الابريز وعلى هذه الساعة قدر قامة ونصف وعرضها قدر ذراعين وشكلها مثل قدح وفوقها شخوصه وزهور صناعتهم عجيبة والازهار والقطع والتحف العجيبة المصنوعة من النحت والبلور تراها عجيبة كانها الوان طبيعية من حيث الوانها واوراقها ورفع شغلها ما تفرق عن الزهور الطبيعية واكثرها من الحجر ومن غير اشياء لا يعرف معدنها ما هو ثم ماذا اخبر عن الشماعدين الذهب والفضة وعن صناعة الشمع الكافور البديع السكب لانك ترى كل شمعة باربع فتايل كانها صليب واشكال غيرها من كل نوع وترى وسع ليوان الملك حيث يصير الديوان شيئاً عجيباً والوجاقات كل واحد كسم شكل اشكال (ص ٦٧) غريبة ومالي اقول عن آلات الطرب التي يلعبون بها في اوقاتها وعلى الخصوص آلة الطرب التي الى الدولقين والملكة ولبنات الملك وغيرها من آلات الزركاش ودواليب الغزل التي يشتغلون بها كلها من الذهب والفضة والابنوس والتخوت حال المختصة بالفرشات التي هي رسم الملكة والدولقين والملك والبنات لان كل من المذكورين له ثلاث فرشات دائماً غير انه السكوت عنهم اوفق من حيث الزركاش والذهب والفضة والحجار وتخوت العود والصندل والابنوس وسن الفيل وسن السمك وغيره شيء يدهش العقل .

كنيسة السلطان

ثم نخبر عن كنيسة السلطان التي سقفها وحيطانها وارضها كلها من الرخام الابيض المجلي كل حجر ما له ثمن الجميع مزملك بالذهب الابريز ودايرة هذه الكنيسة عواميد واحد فوق واحد جوز جوز كل عمود قطعة واحدة وعلو الكنيسة علو هذه العواميد الذين هم فوق بعضهم ويبلغ علوهم

هل قدر حتى اذا اراد احد يرى سقف الكنيسة يلزمه ان يتام على ظهره حتى يرى علو السقف من غير مبالغة والارض الذي داخل هذه الكنيسة عرض واجنبه قدر عشرة اذرع وعلوه علو عمارة بيت وجميعه من الذهب والفضة وقبال المذبح الكبير ثاني طبقه من العواميد ترى كشكين سقفها قبب وهما مرفوعان على ثمانية عواميد (ص ٩٨) كانهم شمع مركبين من الحجر اليماني الابيض اثنين ومن اليماني الاحمر اثنين ومن البشم اثنين ومن اليصب اثنين ومثل العقيق والجميع مع القبب مزمك بالذهب الخالص وداخل كشك الملك بردا داير ما يدوره من الحرير الابيض وداخل كشك الملكه بردا من الحرير الاخضر وداخل كل كشك كراسي ومساجد من الذهب والفضة بين العواميد وبين العمود والعمود فرد قطعة لوح بلور نجف طول ثلاثة اذرع وعرض ذراع ونصف مزماك بالذهب وهذه الكشوك برسم الملك والملكة وارض هذه الكنيسة تصفيها الواح سماقي وزرزوري ورخام عجيب كل لوح قدر اربعة اذرع طول وزراعين عرض ونصف الكنيسة الآخر شكل فسيفساء سماط شكل زهور عجيبة شيء يبهر العقل والمذبح جميعه مع بيت القربان من الاحجار الغير معروفة بل شغل رفيع جداً يدهش العقل وموجودة هناك بعض صور النكوت عنها اوفق لئلا نطيل الخطاب بالاشياء التي لا تدرك الا بالنظر. ونظرنا باوضة الملك والملكة صور ما يعرف ثمنها افهم ايها القاري ان جميع ما شرحته وذكرته لك قليل جداً ولم ابالغ بل اقتصرت لانه لا يمكن الوصف على ما رأيت واعلم ان هذه العمايز جميعها وما ذكرته وما يفوقه كثيراً هذه كلها عمارة السلطان لويس الرابع عشر وكلها عمره وافعله كان بايام التي كانت تحاربه سبعة ملوك وخمسة امارى اعدايه وهو وحده قاومهم وغلبهم وكسرهم وبايام هذه الحروب عمر جميع هذه العمايز انظر قوة ملوك فرنسا وقد اخبرنا بعض ثقات ان السلطان لويس (ص ٩٩) الجالس يومئذ على الكرسي المظفر انه ذو بأس شديد اكثر من الذين تقدموه وقد عمر عمايز شتا عظيمة جداً ايام الحرب وقبلها والآن له نية ان يعمر عمارة تتكلف ستة مليونات اي ست كرات غروش.

ونرجع الى سياق الخبر من خصوص المشايخ المسمين ذواتهم باشت القدس وباشت الناصرة الذين رأيناهم في بهريز الذين اتوا من كسروان وهم خمسة انفار حال وصلنا الى ورسايليا رايناهم هناك. وقد كانوا سبقونا ولم كانوا يقدرون ان يخرجوا من مكانهم لانهم صاروا فرجة من اهل ورسايليا وبالخصوص من الاولاد لان الاولاد متى رأوهم يصرخون عليهم

طلبوا منا ان نروح نقدس لهم في السرايا المسماة كراند كون grand Commun حيث اكابر المملكة هناك فمضينا ثاني الايام قدسنا ورجعنا اختفينا في اوضتنا الى حينما سافر المذكورون وقد فتشوا علينا اذ نحن كنا نريد نودعهم ولكن خايفين من الوصية والتنبيه لان عشية تلك الليلة اتى الى عندنا واحد من قبل السلطان وسألنا هل لكم مفهم خلطة ام هل كتم جملة بفرد مركب وبالنتيجة عرفنا اعتراف عام وسألنا عن قصيدنا من اوربا اليا قصر الملك فقلنا له نحن وحدنا وما لنا معهم ولا لنا خلطه بل نحن ناس فقراء رهبان قاصدون احسان الملك وتوسلنا اليه كثيراً لئلا يرسلنا معهم. فحين

طلبوا منا ان نروح معهم الى عند الرهبان اليسوعيين واتوسل لاجلهم واني عند غير جماعة فصار فينا مثل المثل جاء العليل عند العليل يطلب دوا للعافية فنحن مرادنا من يداوي لنا قرعتنا فجاء من يطلب منا دواء القرعة وبعد هذا بكل جهد حتى قدرنا دفعناهم عنا وصار كلما رأونا يعاتبوننا معاتبة حدة لاجل عدم معاشرتنا لهم ونحن نضع لهم حكايا معاتبة وطلعت نفوسنا من هذا جداً فما رأينا علاجاً لهذا الداء سوى اننا اختفينا من وجيههم وصار كلما دقوا باب الاوضة يقول لهم اصحاب البيت انهم غائبون واستقسنا على هذا الحال خمسة ايام وفي اليوم السادس طلع في كتفهم الرحى حتى يدشروهم من ورسالية فاتت جماعة السلطان اليوم والزموهم بالسفر انهم في تلك الليلة لا يبيتون في ورساليه ومعهم وقت الى بعد نصف الليل باربع ساعات يرحلون وان بقوا يخرجونهم قسراً فالتزموا انهم يرحلون لكن بعد الجهد اخذوا اذناً الى ثاني يوم بعد الظهر.

ونحن ذلك اليوم ارسلت خلتنا مضامة بيرين Périn مع اختها (ص ٧١)

رأى ان اشغالنا مع اناس من اكابر الدولة فقال لنا انني اشاور عليكم ويرد لكم جواباً انكان ترحلون ام تبقون فحالا ارسلنا اخبرنا مضمم بعرين عن هذه الاحوال كلها وبما ان المذكورة امينة اوضة الملكة فحالا ارسلت من طرف الملكة ومنعت المذكور عن التعرض لنا فثاني الايام اتى لعندنا ذلك الرجل وطيب خاطرنا بقوله كونوا انتم في امان وصفاء الخاطر انا مني عندكم شغل من حيث كونكم انتم ناس ملاح ولكم اشغال اقضوها .

وفي يوم ثلاثين آب جاء معلم اعتراف السلطان من بهريز الى ورسالية فضينا الى عنده وسلمنا عليه واخبرناه بكل ما جرى وتوسلنا اليه حتى يحكي لنا مع حضرة السلطان فوعدنا أنه يعمل كل جهده بذلك وفي تلك الليلة وصل السلطان الى اورسالية وثاني يوم مضى معلم الاعتراف الى عنده يتكلم معه فما وجد وقت فرجع (ص ٧٢) عشية ذلك اليوم وعدنا الى يوم الاحد الآتي لان السلطان ثاني يوم ذاهب الى الصيد ويستقيم بالصيد الى جمعة لان السلطان يحب الصيد وغاية مرامه الصيد فلزم الامر اننا نصبر واخبرنا الى معلم اعتراف السلطان انه كل يوم يلزمنا مصروف غرش وربع وما لنا مدخول كيف نقدر نعيش فقال لنا اشحدوا هذه الايام خارج ورسالية وداخلها ابقوه الى حين رجوع السلطان فعزمنا اول يوم ايلول على اشحاده لكي نشحد ورسالية فقالوا لنا بعض محبين اننا ناخذ اذن حاكم ورسالية مع اذن قبجي قاهيه سي السرايه وبدون ذلك لا يصح لنا شحاده فرحنا لعند قبجي كاهياسي وطلبنا الاذن بشحادة السرايه فقال لنا بعد نصف ساعة نعطيكم ورقة الاذن فصبرنا عليه ساعة ونصف الى حين طلع منه الجواب مع ترجمانه باته ثاني يوم قبل نصف النهار ترجع وتأخذ منه الورقه لانه الآن مشغول ولما جاءنا الجواب كان فات الوقت ما عدنا نقدر نروح الى عند حاكم ورساليه لان صار وقت غذاء الاكابر لان غذاءهم جميعهم بعد الظهر بساعتين ومن بعد الغذاء لا يواجهون احداً الى قرب المساء فتركنا ذلك اليوم حاكم البلد الى ثاني يوم .

فرجعنا ثاني يوم الى عند المذكور كما وعدنا لاجل الاذن فرأيناه قد سافر تلك الليلة الى بهريز في اشغال الملكة فكيف عاد حالنا فحزنا ولكن هناك واحد [من] الاكابر لما رآنا بهذه الحال رق قلبه علينا فقال لنا ان الذي جاء معنا من طرف معلم السلطان انه ينسخ ورقة على نسخة التي اعطونا اياها في كمبانيه ويحسبها له لكن يضع مكان كمبانيه اسم ورساليه

وهو يأخذها ويدخل بها عند باشي قبجلر كيياسي ويجعل فوقها بيروذي ذي يوضع اسمه فوقها فتكون اقوى من التي نحن طالبينها فعملنا كما امرنا وجبنا له الورقة فاخذها ودخل عند المذكور وامضاها فتفرحنا كثيراً ورجعنا من هناك الى (ص ٧٣) عند حاكم ورساليه فرأيناه مسافراً الى بحريز ايضاً لان حرمته كانت مريضة في بحريز بالجدري فمضى الى عندها فكيف عسانا نعمل رأينا ان الله تعالى هيك زايد يكون اسمه مباركاً فصبرنا الى حين مجيئه لانه استقام ثلثة ايام الى عشرة ايلول ولكن في هذه المدة وجد لنا اصحاب ودبروا بان اخت حاكم في ورساليه اذا رجعنا الى عندها ونوصلنا اليها هي ترسل الى اخيها لبحريز بيوم واحد وتجيب لنا اذناً منه فنوفقنا الاوقات ان جاءت الى بستانها.

فرجعنا الى عندها فرأيناها من اكبر معارفنا وهذه هي التي كانت مع امرأة الوزير ذي كوميت فلورنتين فسمعت قداسنا وحبتنا كثيراً لانها عابدة عظيمة وذات سيرة مقدسة وحين رأتنا فرحت بنا جداً وتغدينا عندها واستقمنا عندها اكثر من ساعتين ونصف في بستانها وطلبت منا ان نصلي لها ونرتل بعض صلوات بترتيل نغم الشرق وطلبت منا ذلك بلحاجة فعند ذلك رتل لها الاب ارسانيوس بيت مشكوحو بالسرياني وهو كنشه وبعض ابيات من الشحيم ففرحت وضحكت ثم بعده توسلت اليها مقصودنا وهو الاذن بخصوص باطتا Lettre parente عمومية لاجل شحاده (في) كل ملك فرنسا لان المذكورة هي محبوبة عند كافة الاكابر حتى عند السلطان ذاته فوعدتنا انها تكتب الى اخيها لبحريز وهو يكتب لنا يرسل لنا اذناً للشحاده وايضاً وعدتنا انها ثاني يوم تروح الى عند الوزير يبريو وتسئله لاجل باطتا عموميه فسلمنا عليها ورجعنا الى مكاننا فبعد بساعة ارسلت يازجيها الى عندنا لكي ينسخ صورة دستور المطران وحالا ارسلت الى بحريز تطلب من اخيها باطتا لاجل اذن الشحادة وحين وصول مكتوبها (ص ٧٤) الى بحريز كان اخوها سافر من بحريز الى مكان بعيد عشر ساعات وبالنتيجة كانت اشغالنا معسرة من كل جانب فارسلوا له المكتوب من بحريز وبعد خمسة ايام (من) وصول جواب المكتوب ارسل باطتا مكلفة باننا نشحد في ورساليا وايالتها ستة اشهر.

فاخذنا الاذن مع باطتة المطران وخرجنا نشحد بكل قلب في اليوم السابع من ايلول ودرنا على الابواب الكبار من بكره الى بعد الظهر فما

كان حراس الابواب يتركوننا ندخل الى عند احد الاكابر بل كانوا يمنعونا عن الدخول فبعدها وجدنا اثنين من الاكابر فاعطيانا كل واحد غرشين ورجعنا ولم نزل نتعب مدة كم يوم على هذا الحال فا قدرنا نخوش سوى قدر عشرة غروش فرأينا ان ذلك هتيكة من غير فائدة لان البلاد مغليه وكل شيء غالي ما يكفي لنا كل يوم مصروف اكل ونوم غرش وربع فعزمنا على الرحيل الى بهريز وبعض محبين ما تركونا نرحل بل انهم اوعدونا انهم يعملون حد جهدهم ويطالعون لنا دستوراً مكرماً من السلطان والسلطانه باننا ندخل الى كل مكان من غير احد يمانعنا بالدخول وهؤلاء المحبين هم من اكابر خدام الملكة وهم خمسة اخوات بنات غير مزوجات بل شكل قديسات وهم سعوا لنا كثيراً عند المحبين وقد نفعونا كثيراً لانهم لما لنا قدر خمسين غرشاً من محبيهم وعرفونا مع اكابر كثيرين وفي اليوم العاشر من ايلول تكلم مع الملكة معلم اعتراف الملك ايضاً وحضرة الملك تكلم مع جميع اهل الديوان بانه راضي على رهبنتنا ومحبتها وامر الى الوزير ان يعمل لنا مساعدة بحسنة.

وذلك اليوم سافر الى التصيد ما عاد يرجع الا بعد شهر كامل وبعد ان سافر حضرة الوزير تشاور مع معلم اعتراف السلطان وارسل لنا مع المذكور مايتين غرش حسنة من السلطان واعطانا الدراهم في الوقت الذي يريد معلم اعتراف السلطان ان يسافر فيه مع الملك فبعد ان مضينا الى منزولنا (ص ٧٥) وحسبنا الدراهم فرأينا ناقصة ثمانية غروش فرجعنا حالاً الى عنده فرأيناه سافر ونحن لم نزل مقيمين في بهريز في انتظار وعد المدامه بيرين واخواتها لاجل حسنة الملكة والدولتين وفي اليوم الحادي عشر ارسل دعانا لعنده لنشرب عنده قهوة معلم اعتراف الدولتين لكي يتفاوض معنا بلسان السرياني لان المذكور معلم باللغة السرياني ومراده ان يستفيد منا ببعض كلام من هذه اللغة فتاني يوم قصرنا ذهابنا بعد ساعتين من الميعاد وذهبنا فرأيناه قد ذهب من بيته الى السرايه وكان قصدنا هذا حتى نخلص من هذه العقبة الوعرة وفي هذا اليوم ارسلت لنا حضرة الملكة اربعة وعشرين غرشاً لكي نقدس لها عن روح معلمها الذي توفى من سنتين وفي اليوم ١٢ مدامة بيرين مع مدامات اخر اخذوا لنا اذناً اننا نشحذ موايد الكران كمون فتفرحنا بهذا ومضينا الى هذا المكان ولم نزل مصلوبين يومين كل يوم حكم ثلاث ساعات حتى يصير لنا اذن بالدخول فشحذنا اليومين اجانا منهم خمسة غروش وثلاثة قصة وعند ذلك كتبنا عرضحال بالمختصر

واعطيناه الى خوري كنيسة مريم العذرى وكنيسة ريكولا Récollets لكي نشحد يوم الاحد في هذه الكنائس المذكورة وفي يوم الاحد شحدنا كنيسة الريكولا واستقسنا نشحد من بكره الى بعد الظهر بساعتين في الكنيستين فكل الذي جاء اربعون غرشاً فقط من بعد الجهد الكلي لان اكثرهم يعطونا نصف عثماني وقليل منهم الذين يعطوننا دراهم فضة .

والشيخ الذين هم من كسروان بعد ان دفعوهم من ورساليه اترا الى بيريز لعند دوك دوريان d'Orléans فاعطاهم الف ثلث حسنة واربعة روس خيل وسفروا من فرنسه .

غذاء الملكة

ونحن استقسنا نشحد في ورساليه جمعنا ثلاثماية غرش وازود مع حسنة السلطان والملكة وفي اليوم المذكور احانا خبر من المدامه بيرين انا نذهب يوم العشرين الى عند الملكة لانها امرت ان نحضر لعندها لكي تنظر كافة الخادع التي لنا وعلى كافة القطع التي عندها ثم نحضر غداها ونتفرج على غدات الملوك (ص ٧٦) فرأينا ذلك محبة زايدة لان جميع الذين سمعوا قالوا هذا عجب كلي فتاتي الايام مضينا نتفرجنا على اشياء مثل قطع يعجز عن وصفها اللسان بخصوص الجواهر والقطع الفريدة والذهب والفضة والصيني وغير اشياء من ثم ادخلونا اوضة واجلسونا على كراسي كنت ارضى هذه تصير غفارات الى كنيستنا وهناك جلست الى ان اقبلت الملكة ولكن باي هيبة ووقار اقبلت وباي احتفال اتت وابنها الدولفين اتى امامها بجمهور يحرز وهذا الجمهور اوصلها الى قصرها ورجع واما حضرت السلطانة حين اقبلت بهذا الاحتفال وقفت وسلمت علينا سلام كافي كالواجب ثم دخلت قصرها فحالاً قدموا لها المايدة وكان كثيرون امراء قايمين بخدمتها فعند ذلك امرت ان ندخل فدخلنا امامها فبدت تتغدى باحتشام وادب لانها عايدة وسيرتها سيرة قديسين وصارت تأكل وتتكلم معنا حتى اكلت الغداء وكنت ترى منها احتشاماً مسيحياً شيء يذيب القلب .

فبعد خلوص الغداء خرجنا من عندها كلفونا لنتغدى عند واحدة مضامة من مضامات خدمتها فنحن لما نظرنا الى الغذاء كانت تلك المضامة قايمة بخدمتها وقد ارسلت لنا الملكة معها اربعين غرشاً وقد اخبرتنا ان الملكة بعد خروجنا من عندها تكلمت معنا كل مديح عنكم وقد ارسلت لكم

هذه الدراهم تطلب دعاكم وماذا اقول عن تلك الاطعمة التي كانت موجودة على تلك المائدة يمكن خمسين لوناً (ص ٧٧) واشياء لا نعرف اسمها وكان حديثنا معنا بخصوص رهبنتنا عن سلوكنا في بلاد الاسلام وما شاكل ذلك وفي اليوم الحادي والعشرين ذهبنا الى عند الدولفين وحضرنا غداءه وغدات حرمته لانهم تغدوا جملة وكان حاضراً جملة اكابر والوزير الكبير ولا واحد من هؤلاء جلس على المايدة ولا على كرسي بل الجميع واقفين ممتثلين بالخدمة سوى ثلاث ستات هم دوشيس فقط هؤلاء الذين جلسوا فقط ولم يتناولوا من شيء فقط جالسين وكان الدولفين يتكلم معنا ويسألنا عن مؤسس رهبنتنا وعن ادبرتنا وعن عيشتنا وذلك الوقت وجد عنده رجاء كاهن من كنيسة الدولفين وكان صديقنا جداً وهذا افهم عن حضرة الدولفين شيئاً مناسباً لنا ولرهبنتنا وقد مدح الرهبنة مدحاً رفيعاً جداً واخبره عن فقرنا وعائتنا واحوالنا وقوي الخبر خاطرنا بهذا الكلام.

غير انه ذلك اليوم لم يصر لنا من الدولفين شيء احسان لانه على ما نرى انه لم يرد يعطينا الا على يد معلم اعترافه ومعلم اعتراف الملك لانه هكذا اوعدهم وجميع من كان يرى او يسمع ان الملكة والدولفين دعونا وتحدثوا معنا فكانوا يعتبروننا جداً ونحن كان رجاؤنا الخير على يد اخيين لانهم جميعهم اوعدونا الى رجوع السلطان لكي يساعدونا بلم حسنه (ص ٧٨) جيدة ولم اقدر ان اصف مايدة الدولفين وغناها لانه لا يدرك الا بالنظر والاعادة ما بها افادة وفي اليوم في ٢٢ ايلول قدسنا بكنيسة السلطان في الصرايا على مذبح مار لويس ملك فرنسا وهذا المذبح يدهش البصر ويذهل العقل من حيث الكلفة والاحجار الثمينة وحسن النظام والعمارة وبعد القداس كلفنا واحد من كهنة الدولفين وهو قدر مطران وشربنا عنده قهوة وايضاً كلفونا نقدس بهذه الكنيسة لكي المنسيور الذي للدولفين يسمع قداسنا. هناك ثاني يوم قدسنا وتزمنا للقداء كلرجي السلطان وعمل لنا ضيافة ستية مكللة فتحرز مع واجب واحترام وبعده شحدنا وبساليه داخل الكنيسة وشحدنا مان جرمين Saint Germain داخل الكنيسة وصار لنا بمان جرمين عز واحترام كثير حتى انهم ما رادوا يتركونا نسافر من عندهم بل عوقونا عن سفرنا يومين ازود من عظم المحبة التي صارت لنا منهم وجاءنا منهم احسان مائة وعشرين غرشاً احساناً مع ان الجميع كانوا يخمنون ان اقل من خمسين غرشاً يحصل لنا من سان جرمين ولم تتكلف شيئاً اصلاً.

مياه ورسايه

ثم رجعنا الى ورسايه وبرجوعنا (ص ٧٩) تفرجنا على المكان الذي عامله سلطان فرنسا على النهر تلك الطرنبات والدواليب الحديدية والحركات العجيبة والصناعات التي لا يحيطها عقل انسان وقد اصعد بهذه الحركات الماء من النهر الى جبل عالي جداً واخذها الى ورسايه وقد خالف المثل القايل الماء لا يطلع بالطلوع وقد اصعده من النهر الى علو هذا الجبل الذي ولا بالنظر يتصدق وهذا المكان الذي فيه هذه الحركات هو من احدى عجايب الدنيا المعتبرة لانه من كافة الاماكن والاصقاع والمدن وسياح يأتون لكي يتفرجوا على هذا المكان الواجب له التفرجة الذي من لا يراه لم يرَ عجيبه حتى اولاد الملك والاكابر والعظماء والاشراف من سايرالممالك يأتون لكي يروا هذا العجب مع بستان السلطان وحقاً ان كلما هناك فهو من عجايب الدنيا واعجب العجائب .

ويأتون ينظرون كيف ماء النهر صعد الى علو شاهق مثل هذا وبُعده حكم ثلاث ساعات وكل دقيقه من دقائق الساعة يجري منه هذه الحركة ثلاثة قناطير من الماء اي كل ساعة يجري مايه وثمانون قنطار ماء الى ورسايه من النهر المذكور وغير ممكن ان احداً يقدر يتشخص بعقله هذا العمل ما لم يراه بعينه من حسن نظام وهيئة هذه الدواليب والحركات وبيوت الماء لانه عامل على النهر بناية من الحجر والدف والخشب مكان طوله قدر ثلاثماية ذراع طول وعرض وهذا المكان قايم على ثلاث طبقات يصعد اليها بدرجات من الدف الثقيل وعامل لهذا الماء ثماني عشر ناعورة كل واحده وسع دور دولابها قدر ماية ذراع كلها من الدف الثقيل وعلى كل واحده يمكن قدر عشرون قنطار حديد وفوق هولاء الدواليب ايضاً قدر ثلاثين دولاب اخر غيرها وشكليا ما هو بالدور بل مثلثات الزاوية وبين كل واحد من هذه الدواليبه دولاب صغير شكل مربس وهذه الدواليب المثلثات لا تدور دوره كامله بل تدور ثلثي (ص ٨٠) دوره وترجع ثم تقيدها وهلم جرًا ثم على كل دولاب من الدواليب الكبار ثمانية عشر مركبة عليه وحوله حركات تدهش العقل والبصر وجميع مجاري المياه كلها لها اكواز من الحديد والرصاص غلظ كل واحد قدر انسان وفوق هذه الدواليب والحركات والطرنبات آلات مثل آلات شغل النول وبعضهم مثل دولاب الغتال وغيرهم مثل محالج القطن وشيء طالع وشيء نازل واناس

والمخون والناس جايشون وجالهم من الحديد الرقيق سلك اصبعين وعرض كف ومسدودين على كل الآلات يمكن درب ساعة طولهم وكل هذا الطريق اكوز من الحديد غلظ ثلثي ذراع وعدتهم سبعة عشر كوزًا والماء جاري منهم اي من سبعة عشر طرنبة وكل طرنبة رايح منها الى رأس الجبل كوز واخبال الحديد كلهم من النهر الى رأس الجبل واحد رايح واحد جاي لاجل تحريك الطرنبات المعمرله على الطريق وبين كل نصف ساعة معمرة عماره داخلها طرنبات ودواليب وحركات عجيبة وتشتغل ليلاً ونهارًا من غير ان ترى احدًا يحركها غير ان دواليب النهر في دورها تحرك وتشغل هذه الحركات كلها وبمرور هذه الامياه تجري على النضيع وها اماكن ثغور فيها من هذه الامياه ثم تصل الى اعلى مكان حتى الى رأس الجبل.

وفي رأس هذا الجبل مبني قدر مية قنطرة وعلى ظهرها شكل نهر وعلى النهر الفوقاني جايه من هذه الحركات وعلو هذه القناطر قدر خمس قامات وفي سطح هذا الجبل مبنية بيوت وسرايات من تحت الى فوق وبساتين وقصوره وكل منها له استحقاق من هذه الامياه وكل دار ترى قدامها برك واجران والماء جاري بها وما لي اتكلم عن ما وقف بوصفه المعلمون كلهم. ثم بعد ان تفرجنا على اعجوبة الدنيا فرجة كما يجب فرأينا في آخر هذا الجبل صراية معظمة جدًا مع بستان جميل وعظيم قوي مكلف بالغاية ودخلنا اليه لكي نتفرج عليه ولم نعلم هذه الصراية وهذا البستان لمن يكون ومن هم (ص ٨١) اصحابه غير انه بعد ان تفرجنا على مقاصف وغياض هذا المكان خرجنا منه لنذهب الى مدينة مولي Molay وهذه المدينة بعيدة عنا قدر ساعة ونصف فشينا حكم ربع ساعة او اكثر واذا بواحد لاوند مكلف قوي راكد ورانا وهو يصيح يا ابونا قفوا فعند ذلك وقفنا لنبصر ما الخبر فوصل لعندنا وهو تعبان فرأيناه رجلاً لابساً ثياباً مكلفه جدًا بتعصب وما شاكل ذلك فقال لنا ارجعوا معي لان علو شان سيدتي تريدكم فقلت له من هي سيدتك فقال مادامه دي كومبته كولوزه فقلنا له ما تريد منا فقال امرتني ان ادعوكم.

فرجعنا الى الصراية فرأينا هناك جملة خدام كثيرين والجميع مكلفين وقبجيه غيرهم مكلفين موجودين بالباب مثل باب الملوك فدخلنا وسلمنا فقالت الست السلامة بكم يا ابهاتنا فجلسنا قليلاً الى ان تآنسنا معها فقالت لنا اني اريد من فضلكم يا ابهات ان تتغدوا عندي قداساً

في طريقتكم لكي ابصر رتبتكم وطقسكم فقلت لها يا حضرت الست نحن اليوم قدسنا وما عاد يمكن ان نقدس اليوم مرةً اخرى فقال غداً تعالوا الى هنا هنا وقدسوا عندي فقلنا سمعاً وطاعة . فتاتي الايام جئنا الى عندها وقدسنا فعملت لنا ضيافةً سنيةً جداً وتغدينا مع رئيس الشمامسة على فرد مائدة ثم بعد الغذاء دخلنا الى عندها واستقسنا عندها حكم ساعة ونصف وهي تسألنا عن رهبنتنا وعن الاديرة وعن القانون والمعيشة ونحن نجاوبها الى حين ما انتهت فاعطتنا واحد ذهب بثمانية غروش ثم ودعناها وانصرفنا من عندها سألنا البعض عنها من تكون هذه الست فقالوا لنا ان هذه زوجة ابن لويس السلطان الرابع عشر ام دوك دي بتبر .

ومن هناك رجعنا (ص ٨٢) الى ورسايه واستقسنا يوم واحد وسافرنا الى بهريز توجد لنا مساعده وهي الست الشريفة مادامة الدوشيس داكيان صاحبة السيرة الملائكية لان الست المذكورة مع انها من دم ملوك فرنسا الا انها عابدة حقيقية لله والمذكورة ساعدتنا مساعدة حقيقية من كل قلبها وجهدها حتى اننا قدرنا شحدنا داخل كنائس بهريز وكنت ترى يوم الشحاده اولاً يوصي لنا الخوري ويوصي لنا الكاروز في المنبر وبعد الوصية يقرأ ورقة نحن كتبناها تعرض احتياجنا وضروريانا وحال رهبانيتنا وضيق الرهبنة ودينها فكان يقرأ هذه الورقة على مسامع الحاضرين وبعد هذا يدور امامنا السويس Le Suisse المتعين على الكنيسة التي نشحدها وكل من المسيحيين يرمي لنا في الكيس الذي بيدنا الاحسان الذي يعطيه فكان البعض يرمي لنا ريال الذي قيمته نصف عثماني وغيرهم ثماني مصريات وقليلون يرمون غرشاً النتيجة شحدنا في مدة شهر في بروار المادلينا Paroisse de la Madeleine وفي بروار سان نيكولا فحصلنا من البروازين ومن كافة حسنة بهريز ثلاثة وستين غرشاً خرجنا نصفها على الاكل والسكنة وكنا نركد كل يوم ست او سبع ساعات بغير فطور ولا اكل حتى قدرنا حصلنا ما ذكرنا وما كنا نقدر نبصر لنا وجه فرج واستقمنا على هذا الحال الى ٣٠ تشرين الثاني .

فبعده بواسطة المحبين والاكابر الذين تعرفنا بهم وعلى الخصوص مادامة الدوشيس ديان صرنا نشحد كل الكنائس وقد تعبنا كثيراً لكي نقدر نشحذ في البيوت فما امكن ان يسمحوا لنا بذلك لان امورهم كلها مرتبة وما يقدر احد يصنع شيء من رأسه بغير اذن الخوري ام اذن وكلاء المحلة

حتى يقدر يشحد ثم اننا ذهبنا الى عند ايلجي مالطه وطلبنا منه المساعدة على قضى شغلنا وتجديد حماية الملك المعظم الى رهبتنا ووفاء دين رهبتنا واريناه باطنة سلطان مالطه فقرأها ووعدنا في المساعدة وكتبنا عرض حال جديد الى السلطانة به نطلب تجديد الحماية واعطيناه الى الجي مالطه المذكور والمذكور قدمه الى حضرة الملك والملك رضي بهذا ولكن سلم الامر الى الوزراء لكي يفعلوا الواجب لهذا الامر والوزراء (ص ٨٣) طلبوا منا النسخ الاصلية لكي يجددوها ونحن ما عندنا فرمان حماية فقلنا لهم ان النسخ الاصلية ما جبناها معنا فوقع في التعب الجي مالطه لاجل انجاز هذا الامر ومن جهة باطنتا النحادة في كل مملكة فرنسة فهذه رميناها بيد مادام شاتلين مصاحبجية الملكة .

وفي اليوم الثالث والعشرين من تشرين الثاني رحلنا الى ورسالبه ان والاب بيسين في قوجيه Coche جاريها رأسان خيل وسلمنا على الاكابر واخبين وبقينا دايرين ونحن نسلم عليهم لان صار لنا هناك معارف كثيرة وكنا كل يوم نتغذى في مكان عند احد متقدمي الدولة ووصل امرنا اننا تغدينا على مايدة السلطان التي يقدمها الى مطارنه وقسوسه في صراية الكرندكون وكل هذا لكي تتعرف مع الاكابر لكي يساعدونا على اتمام شغلنا وبسعيهم اخذنا من الدولتين مايتي غرش ومن غير جماعة قدر عشرين غرشاً ومادام شاطلين اعطتنا قطعة قماش تساوي ثمانين غرشاً الى رهبان ماري الياس الرأس ثم عاودنا الى بهريز وقد كانت الملكة في ورسايليا ابصرتنا مرتين وسلمت علينا سلام ما تسلمه ولا على اكبر اكابر الديوان حتى ان الناظرين كانوا يتعجبون كثيراً من ذلك السلام وقد امرت الملكة الى حضرة مدامه شاطلين انها تعمل لايدينا فروات لاجل البرد فعملت لكل واحد منا واحدة ونحن توسلنا الى مادام شاطلين انها لا تعملها مكلفات بل تكون مثل فرو ايدي اليسوعية .

وبعد وصولنا الى بهريز ارسلت لنا خبر مادام شاطلين من حضرة السلطانة امرت ان يعمل الى كل منا بدلة جوخ لكي نلبسها لاجل شدة البرد لئلا يضرنا ونحن سابقاً قد كنا احكينا الى مادامه شاطلين اننا بعنا كل ثيابنا من شدة العازة وقلة الخرجية التي حصلت (ص ٨٤) لنا في طريقتنا من الشرق الى بهريز فبعنا كل حوائجنا من شدة العازة حوائج الشتوية مثل العبي والكبي[1] والمذكورة احكت الى الملكة امرت ان يعمل لنا عوضها

1) جمع عباية وكبود .

حوض جديد مليح فعملوا لنا ما امرت به وليستاد ثم ابتدينا نشحد الكنائس فشحدنا كنيسة سان لويس وسان جرمان وسان روكس الى حد ثمانية كانون الاول فصار عندنا بعد مصروفنا الف غرش .

عشاء السلطان

ثم نحكي لكم عن حضورنا في ورسايه عشى سلطان فرنسا الذي يدهش بنظامه وترتيبه لانه على مايده واحد جلس سلطان فرنسا والملكة زوجته والدولفين والدولفينه وثلاث بنات السلطان المذكور وجميعهم غارقون بالماس وقطع الجواهر حتى من شدة لمع الجواهر ما كنت تقدر ترى شيئاً لانه لابسون اشياء تساوي خزاين شتى وتلك المايدة الملوكية ترى كل شماعديها واوانيها وصحونها وملاعيقها وكل ما يلزم الى مايدة الجميع ذهب ابريز خالص وقدر خمسين شمعداناً بشمعهم الكافور واكثر تضوي في المايدة بشماعدين الذهب ومن خصوص الاطعمة يزف عن ماية وخمسين لوناً ما يعرف ما هم وكلها في صحون الذهب والفاكية كلها معمولة مثلما تكون على اشجارها معلقة ببلور وفضة وذهب وحول المايدة واقف الوزراء والحراس والاكابر بكل احتشام ثم داير المايدة كراسي مخمل مزركش وجالس فوقها نساء الاكابر والاشراف والوزراء الذين يخصون الديوان وحين يطلب الملك والملكة والدولفين او البنات ليشربوا ترى كل من له واحد مخصص يصرخ اسقوا الملك وكذلك الملكة والدولفين والبقية وكل مرة يريد الملك او غيره ليشرب يقدمون له مشروباً في صينية من ذهب وفيها خمر وداخل قنينتين صغيرتين كل واحدة قدر وقية من البلور الصافي وقبل ان يشرب الملك واقف اثنان كل واحد بيده طاسة من الذهب كل (ص ٨٥) واحد يسكب في طاسته واحد خمرًا وآخر ماء من تلك القناني ويشربان امام الملك والحاضرين وبعده يشرب السلطان كل هذا خوفاً من السم لان الملوك يخافون بما ان لهم اعداء كثيرين فكل شيء يتقدم الى مايدة الملك والى الملكة من جميع الاشياء ترى اللاوند بالحراب والبندق مرافقين ذلك الشيء والمتوكل على ذلك الشيء ايضاً مع كافة توابعه يرافق ذلك الشيء وغير اشياء رأيناها ورأينا منها العجب ونحن كنا نعمل كل جهدنا اننا نصير معروفين عند اهل المملكة لئلا يعطل شغلنا لان الجميع تلوعوا من شحادين كثيرين شحدوا فرنسا وكان معهم مكاتيب وباطنات مزورات وبعده انكشف حالهم وظهروا انهم محتالون مزورون .

اسبع في ٢٤ كانون الاول وصل خبر الى بهريز وهو صحيح ان وجد مطران غريب عند ملك فرنسا وكان معه باطستا ومكاتيب قوي جيدات وشحد فرنسا وصار له من الشحادة قريب عشرين الف غرش وهو داير من مكان الى غيره وبعده انسك في مدينة قريب نورمندية وظهر انه حرامي وحامل عدة مثل طبنجات وبيتار وغير سلاح وظهرت عليه دعاوي شتى حتى من جرائها حكمت عليه الشريعة بالشنق فشنقوه في ٨ من كانون الاول الشهر المذكور اعلاه وغير هذا كثيرون الذين غشوا الناس في شحادتهم حتى قطعوا الشحادة عن غيرهم وعاد كل من ارباب الدولة الذي ينبغي ان يعمل حسنة يعطي ما يريد يعطيه الى خوري بيته لكي يفرق حسنة على المحتاجين من الناس من يعطي مايتين وغيرهم ثلاثماية واكثر واقل وهلم جرا.

مكتبة السلطان

وفي اليوم العاشر ذهبنا الى مكتبة سلطان فرنسة وتفرجنا وذلك شيء عجيب من حيث كبرها يمكن قدر سبعماية ذراع كل واجهة منها تحوي اربع واجهات والجميع رفوف من الارض الى السقف حكم عشرين (ص ٨٦) ذراعاً والجميع ممتلئ كتباً مكلفة كلها بعرمة مذهبة كل صف شكل عرمة وبها كتب من جميع الالسن التي موجودة في العالم مثل افرنجي عربي تركي فارسي رومي هندي ارمني سرياني كرشوني عبراني كوفي روسي بلغاري كلداني سرتكاري وغير السن كثيرة شيء يعجب منه وكل لغة لها معلمون يقرأونها ويفسرونها وفي هذه المكتبة متعينة جماعة يمسكون دفاتر لهذه الكتب جميعها وكل اسبوع تفتح هذه المكتبة مرتين يوم الاثنين ويوم الجمعة وكلمن اراد كتاباً من اي لسان اراد يطلبه حالاً من وكيل المكتبة ووكيل المكتبة ينظر في الدفتر ويقول الى الخدام في المكان الفلاني في الصف الفلاني في العدد الفلاني حالاً يذهب ويأتي بذلك الكتاب عينه ولم يغلط ابداً ولا بالسنة مرة واحدة والذي يطلب الكتاب يعطونه الكتاب ويعطونه كرسياً ومايدة يضع عليها الكتاب ويجلس من قبل الظهر بساعتين الى بعد الظهر بساعتين باربع ساعات من غير ان احد يقول له شيئاً وان طلب خمسين كتاباً بعد بعضها يقدمون له ما طلب من غير تلمر ولا كلفة جديدة واحدة وان طلب كل يوم كتاب يقدمونه له من غير ان يخرج كتاب من خارج المكتبة واسفل هذه المكتبة طبقة في مكان آخر متسع

جداً وموجود به قدر خمسين الف كتاب جميعها مصورة صور كافة حيوانات البرية والبحرية الموجودة في الدنيا وكل اشكال الطيور بالوانها وخلقتها وكتب الحشايش والاشجار بزهورها واثمارها واوراقها والوانها وكتب المصورة فيها ساير البلدان وكسمها وكيف علومهم وقوانينهم وعوايدهم وصياماتهم وكتب الحشرات الارضية جميعها اشياء تسوخ العقل وهذه المكتبة مشهورة في الدنيا كلها والذي يريد يتفرج له الكرسي والمايدة ويجلس من غير ان احد يضجر منه وان طلب ماء (ص ٨٧) او غير لوازم يقدمون له من غير ضجر بل بكل محبة ويمكث الى حين يزعل ويمضي ويأتي الخادم يرفع الكتاب موضعه والكرسي والكتاب والمايدة وقد احكى لنا البعض ان عمرة هذا المكان مكلفة اكثر من ثلاثمية الف غرش وهناك رأينا كرات فلك الثنين كل واحدة قدر قبة قاعة كبيرة وغير اشياء تدهش العقل عدلنا عن ذكرها .

وفي ١٢ كانون الاول شحدنا كنيسة مار انذراوس كنيسة العواميد وهذه سابع كنيسة شحدناها في بهريز وهذه الكنيسة صغيرة ما هي من الكنائس الكبار ولكن صار لنا منها اكثر مما كنا مؤملين وبعدها شحدنا كنيسة سان سوليبس وهذه الكنيسة من كبريات كنائس بهريز لكنها عجيبة ابتدأت عمارتها سنة ١٧٠٩ وبعد ما خلصت ولا كملت عمارتها من البنا بل بقي ربعها وقد كانت بلغت كلفتها في هذا التاريخ الى حد الثلاث كرات من الغروش ولتعلم ايها القارئ ان الكرة عشر مرات ماية الف يكون جملة الكلفة ثلاثين مرة ماية الف غرش ولا تظن ان هذا مبالغة لكنه على التحقيق ومن حيث الحجار المبنة منها هذه الكنيسة الرخام والساقي والصفار واليماني والذهب والفضة جميع هذه الاشياء موضوعة في البناء شيء يسكت عنه وغير ذلك من خصوص البدلات والغفارات والتيجان والاواني التي داخلها شيء يساوي كنوزاً كثيرة وايضاً الترتيب الذي بها عجيب .

وفي ٣١ كانون الاول رحلنا الى ورساليا لكي نعيد السلطان والسلطانة والدوفين لاجل السنة الجديدة وبعد ان عيدناهم استمنا في ورساليه خمسة عشر يوماً وذهبنا الى سان جرمين وعيدنا الاكابر الذين هم حامونا ورجعنا ايضاً الى ورساليه والملكة قد عملت لنا واجباً ومحبة عظيمة (ص ٨٨) واعطانا الملك باطنا مكلفة ضمنها اننا نشحد كل مملكة فرنسا ولا احد يعارضنا

كنياً من اي مقام كان حاكم او غيره. ثم ان الملكة امرت لنا بخوايج جوخ طيب وبما ان حوايجنا ذلك الوقت كانت جديدة طلبنا منها ان لا تعمل لنا ذلك الوقت الخوايج بل تصبر حتى تعتق حوايجنا تعمل معنا هذا الخير وكان قصدنا ان نبقى بخوايجنا هذه لكي نُعرفَ عند الجميع اننا من غير رهبانية اي من رهبانية الشرق ويخشوا علينا فحينئذ امرت ان يعمل لكل منا قنبازان جوخ فرنجيان حتى لا يغرّنا البرد ونلبسها تحت ثيابنا فعملوا ذلك وتكلفت الاربع اربعين غرشاً ولبسناها ودفينا كثيراً لان برد بهريز شديد وصعب.

ثم رجعنا الى بهريز في الكانون الثاني سنة ١٧٥٠ وكملنا شحادة سان سوليبس فما صار لنا منها سوى شيء قليل وبما ان سان سوليبس من اكبر كنائس بهريز كما مر ذكره وحاوية رعية كثيرة واكابر.

اوتيل ديو

ثم دخلنا زورنا الى اوتيل ديو اي المذبح[1] الذي لله وهذا المكان هو بيمارستان للمرضى وهو شيء غريب عن العقل والتصديق من حيث كبره ونظامه وغناه لانه مشتمل على اثني وعشرين رواقاً وكل رواق طوله قدر فرق الامرأة من الرجال[2] منه سبعة اروقة الى النساء وخمسة عشر للرجال وحين زوناه كان موجوداً به من المرضى اربعة آلاف وثلاثماية وسبعون مريضاً وبه مايتان وسبعون خادماً ومايتان وثلاثون راهبة من راهبات هذا المكان. الذين ينذرون الفقر والعفة والطاعة وخدمة المرضى اربعة نذور. ومطبخ هذا البيمارستان يدهش العقل من الحلل والطناجر والصحون واللحوم والمشوي مع الدجاج والفراريج مع الحمام وانواع الطيور واللحوم اشياء كلها مكلفه وبه مطبخ الحكمة قائم بذاته ومكان للاناييق العجيبة وحده وبه مخزن آلة الحكمة به السكر براميل مثل مخازن الافرنج والترياق في البراميل ومعجون الياقوت والقرمز وبقية (ص ٨٩) الادوية المكلفة جميعها في بواطئ الفضة مثل بواطئ السمان والشرابات في جرار مثل الخواني والسفوفات المكلفة اشياء تأخذ العقل وعلى ما اخبرونا ان هذا البيمارستان كل يوم يتكلف عشرة كياس دراهم فهذا مصروفه المعلوم لانه يشبه مدينة وترى داخله كتب بازجيه ومعلمين ومامورين

---

١) المذبح تعريب autel والصواب منزل hôtel .

٢) كذا في المخطوط وقد سقطت منه العبارة الدالة على قياس الطول .

وكل ما يلزم الى المرضى موجود وبه الغني والفقير شيء واحد علاجهم وتدبيرهم وكل يلزم الغني مثله يعمل للفقير .

ثم في ٢٢ كانون ثاني شحدنا كنيسة مار برتلماوس وفي يوم شباط شحدنا كنيسة مار بطرس دلكناه البقر (؟) ، ويوم ٢ شباط انعزمنا عند رهبان بنديكتين سميم بالان منطو Blancs-manteaux وكد قد مضينا الى عندهم ثلاث مرات فيوم عيد دخول المسيح للبيكل مضينا نشحد داخل الكنيسة فقالوا لنا ان ما نريدكم تشحدون داخل الكنيسة وان اردتم تشحدون قفوا ببب الكنيسة فلا زلنا نتدخل ونترامى حتى قدرنا نشحد داخل الكنيسة ثم في ١٠ شباط شحدنا عند الاباء الاراطوار Oratoire وهذه الكنيسة ما هي كنيسة رعية بل احوية مثل رهبنة الا انها مكلفة كثيراً وفي ١٣ شباط شحدنا كنيسة مار روكس لانه كان عيد جراحات يسوع .

وفي ١٥ شحدنا كنيسة مار بطرس التي في الجزيرة داخل نهر بهريز الجاري من نصف البلد ويتقسم هذا النهر عند هذه الكنيسة الى فرقتين وفي الوسط شكل جزيرة كبيرة قدر ضيعة كبيرة . القول عن نهر بهريز اسمُ هذا النهر السين La Seine — وقدره قدر نهر الفرات وصاير خير عظيم من هذا النهر الى بهريز وفرنسا لانه يجلب من هذا النهر ساير زخيرة بهريز وغيرها من حطب وحنطة وفواكي وغيره الى ساير فرنسا الى بهريز (ص ٩٠) تأتي من هذا النهر والشخاتير لم تزل سالكة به داثماً ومثل البحر . وفي ١٩ شباط مضينا الى عند واحد اكابر من اصحاب مقاطعات بهريز وهو غني جداً ورأينا يومها جايئةً لعنده عربانةً يجر بها ستة رؤوس خيل وهي محمّلة ذهب وفضة ومعاملة بالجهد حتى قدروا يجذبون العربانه الى داخل بيته وجميع هذه الدراهم معباية في براميل وقد فتح امامنا برميلاً واحداً فرأيناه ملاناً اكياساً فسألنا كم داخل هذا البرميل فقيل لنا ماية وخمسون كيساً بحسابها وكان هذا البرميل اصغر البراميل وعلى ما خمنت ان ذلك اليوم وصله اكثر من الف وخمسماية كيس على تلك العربانة وتغديناه عنده على مايدة يمكن مكلفة اكثر من خمسين غرشاً واعطانا بعد الغداء خمسة اثني عشر غرشاً وبعده تعرفنا مع بعض اكابر بهريز واضافونا عندهم مراراً عديدة وصار لنا منهم حسنة كم ماية غرش .

وفي ٢٣ منه شحدنا كنيسة المجدلية في زقاق سانت اندره وهي كنيسة

رعية وفي اول اذار شحدنا كنيسة المخلص وهي ايضاً مثل الاولى وفي ١١ اذار شحدنا كنيسة دير مار يعقوب في ١٧ منه كنيسة مار يوحنا وخوري هذه الكنيسة اتعبنا كثيراً الى ان رضي نشحد عنده فقط الكنيسة من غير بيوت وكثير من الخوارنة عاملونا هذه المعاملة وكل احد كنا نشحد كنيسة وعدلنا عن ذكر كل واحده وغناها ودونا وذهب والفضة والاحجار الكريمة والبدلات السكب من ذهب وفضة واشكال والوان وفي بعض الاماكن رأينا شعاعات للقربان المقدس كل شعاع يساوي عشرة آلاف واكثر من حيث الالماس واللؤلؤ وغيره .

وفي يوم عيد القيامة شحدنا كنيسة سان موطاش Saint-Eustache وكان ذلك (ص ٩١) اليوم صمد المذبح الوسطاني المكلف نحو من مايتي كيس دراهم وفي هذه الكنيسة شعاع لزياح القربان المقدس ما يمكن يتمن لانه حاوي على خزاين مال من حيث الالماس والجواهر واللؤلؤ والياقوت شيء يكل عن وصفه اللسان ويقصر عن ادراكه الجنان واستقمنا من العيد الكبير الى عيد الجسد نشحد كل جمعة كنيسة .

زياح عيد الجسد في بيريز

وفي يوم عيد الجسد حضرنا الزياح في كنيسة سان سوليبس هذا الزياح الذي يدهش العقل لان طول الزياح قدر ثلاث ساعات ويتقدم هذا الزياح جوق لاوند بيديهم الحراب والبنادق لاجل تمهيد الطريق امام الزياح وخلفه طبلان باز من النحاس كل واحد بقدر حلة كبيرة والذي يدق على هذه الطبول يدق بصناعة وخفة وحوله اربعة انفار تدق باربعة طربيتات قوي دق مرتب وخلف هذه الانفار يبرق زيارة العذراء مع الاخوية مع الرجال العابدين قدر المئي واحد ماشيين كل صف ثمانية برتبة وبعدهم النساء والبنات العابدات وهم ايضاً على نسق الاوليات مقدار المئين وبعدهم يبرق اخوية القربان المقدس وتابع هذا البيرق اخويته قدر المئين وبعد هؤلاء صنجق وعليه صورة مزركشة بالذهب وتابع هذا الصنجق الرهبان الذين هم من اخويات المذكورين وجميع الرجال والنساء والرهبان كل واحد بيده شمعه مضيئة ومعها باقة زهر كبيرة وبعده مرّ بيرق المدارسين لان هذه الكنيسة لها مدرستان كبيرتان وكل واحدة تحوي اكثر من ستماية نفر وخلف هذا البيرق اولاد المدارس بالرتبة (ص ٩٢) الاصغر وبعده

الاكبر والجميع بكتونات بيض مكلفة وفي ايديهم الشمع وبعدهم الكهنة اثنان اثنان بالبدلات والغفارات المكلفة جداً وقد احصينا عدة اللابسين البدلات والغفارات فكانوا مايتين وست وثلاثين بدلة وغفارة التي كل واحدة لا تتحمل من ثقل الذهب والفضة والزركش وبين صفوف هؤلاء الكهنة الاولاد الصغار الشمامسة لابسون الكتونات البيض كل اربعة حاملون طبق زهر وهو مجلل بقماش مكلف ومزين بالماس وداخله الزهور ياسمين وورد ونسرين وغير زهور يرجمون بها القربان المقدس طول الطريق وكلما مرّوا على بيت من الاكابر يطالعون لهم زهوراً مفروطة في صحون فضة ويفرغونها في تلك الاقفاص وبعد هؤلاء مر اثنا عشر مطراناً لابسين حلة الخبروية وفي الوسط كردينال شاب وقوي كسم ظريف لابس لبس الكردينالية وحاملون فاضل ثوبه اثنا عشر شماساً لان فاضل الثوب قدر حارة طويلة وهم لابسون كتونات بيض مثل الثلج ومزنرون بزنانير حرير كل زنار عرض شبر لون احمر واطرافه مرخية الى الارض وبشرابات القصب وفي ايديهم مباخر وخلفهم ايضاً مثلهم اثنا عشر شماساً وكتونات بيض وزنانير حرير ازرق ايضاً وفي يد كل واحد مبخرة واثنتان ذهب واثنتان فضة وعدة الاثني عشر لكن كل مبخرة قدر جرة ماء وطول جنازير المباخر نحو ذراعين وبعدهم اثنا عشر بكتونات وزنانيرهم صفر وفي ايديهم علب البخور اثنتان ذهب واثنتان فضة . اثنا عشر واحدة . واثنا عشر شماساً اصغر من هؤلاء في ايديهم اطباق الزهر ملآنات وكلما فرغ طبق يعبونه من الاقفاص المذكورة (ص ٩٣) وبعد هؤلاء آلات الطرب الموسيقى السلطانية مركبة من طرنبيتات وزمور وشبابات وكمنجات وقرون وحيات اشكال واجناس وطبلين باز مثل الاولين مع غير الات ملوكية وكل ارباب الآلات من اللابسين اثواب مغطسة بالذهب والفضة ما ظهر من اثوابهم ولا خيط حرير واثنا عشر نفر حاملون خيمة القربان المقدس وتحت الخيمة الخوري ومعه عن يمينه وشماله اربعة انفار بكتونات مكلفات والخوري حامل ذيل الشعاع الذي ثقله يمكن عشرون رطلاً وعليه الحجار الثمينة والجواهر والالماس واللؤلؤ شيء لا يُحصى وحوله فنور الشمع الكافور مثل الغاب القصب ودار ما يدور الرياح اللاوند بالبندق وخلف الخيمة قدر خمسين لاوندا معارضين تفتكيم شبه درابزون لكي لا احد يزحم الخيمة وخلفهم البشر مثل التراب المرافقين الرياح والتراتيل مع صوت الآلات شيء لذيذ جداً تراتيل ملوكية تسمع الكهنة ترتيلاً وبعدهم الرجال وبعدهم تبتدئ

النساء تراتيل ملائكية وحين تزعق هذه الالوف ترى الارض ترتج من الهيبة العظيمة وما يظن الانسان ذاته الا في السماء وكل كم خطوة ترى معلم السريمونية céré moniaire في يده شكل كتاب من دف معمول بصنعة يفتحه ويغلقه يطلع له صوت مثل صوت البندقية يدق فيه اول دقة يلتفت حالاً اهل المبخر والزهر ثم يدق ثاني دقة ينحنون كلهم جملةً امام القربان المقدس ثالث دقة يبخرون كلهم جملة كل فرد مبخرة واهل الزهور يرجون بالزهر مع التبخير كلهم سوى وكل زقاق يمر به الزياح مصمود في ذلك الزقاق مذبح مكلف يعلوه الخوري ويعمل هناك صلاة وبخوراً (ص ٩٤) وبركة ويمضي الزياح كما كان وما لي احكي عن شكل هذا الزياح الملوكي بل الملائكي لاني عاجز عن وصفه كما يجب فليفهم القارئ قليلاً من كثير لانه شيء عجيب.

زياح عيد الجسد في ورساليه

ثم بعد عيد القربان المقدس رحلنا الى ورساليه في ٢٨ ايار لكي نواجه السلطانة ونشكر فضلها لانها سألت عنا كم مرة وقد كانت ارسلت امراً الى حاكم بحيرة انه يرد لنا باطنتا السلطان التي كان اخذها منا كما مرّ القول وفي وصولنا الى ورساليه عند اب من كهنة السيدة التي بورساليه وقد عملوا لنا واجباً كثيراً واعطونا اوضتين مفروشتين وهناك حضرنا زياح آخر يوم عيد الجسد وهو زياح يرحل اليه من حيث النظام والكلفة والبدلات والغفارات التي لا تتخمن لانه من سراية السلطان خرج اربعة حمالين وكل اثنين حاملين تختاً وفوقه عشر بدلات وغفارات كبار ما يمكن ان تنطوي لاجل قماشها الذي هو فرد شقفة من الذهب والفضة والاحجار وغيره ولبست الكهنة هذه البدلات وخرجوا للزياح وكان سلطان فرنسة والسلطانة والعائلة ونساء الاكابر جميعهم ماشين خلف القربان المقدس بكل خشوع وورع الذي يدهش العقل وبعده الطبول والزمور وسائر آلات الموسيقى اشياء غريبة وعجيبة تطرب خلفهم وقدامهم ونظام اعظم من نظام بحيرة وجميع زقاقات ورساليه مزينة بالبردايات المكلفة حتى كل منها تسوى الف غرش واكثر وكل زقاق به مذبح مصمود صمداً مكلفاً جداً لاجل البركة وكل مذبح يمكن اربعة قناطير ذهب وفضة اشياء عجيبة لان هذه الخياكل مصمودة من قبل السلطان والثريات والقناديل والشماعدين والقطع شيء لا يحصى لان كل قطعة (ص ٩٥) فضة قدر خابية وكلها معمولة بصنعة

تدهش العقل واكثر من الف لاوند بالخراب والبندق والسيوف والرماح محاوطين بالرياش والنتيجة الحكي ليس مثل النظر .

خزنة جواهر السلطان

وفي ٢ حزيران ارسلت الملكة امرتنا نذهب لعند خزندارة الجواهر التي تخص السلطان والعيلة لكي نتفرج على قطع الجواهر الموجودة فمضينا عندها فرأينا شيئاً لا يحصى ولا يقدر بقلم فرأينا هناك صناديق مقفلة وشيئاً يدهش وداخليهم كل قطعة الماس قدر جوزة صغيرة وعددهم يمكن قدر خمسماية حجر الماس كريم ولؤلؤ كل لؤلؤة قدر بندقة وقدر الخمس شيء كثير ياقوت مثل الجوز الوان واشكال كثيرة زمرد ولعل شيء ياخذ النظر وجميعه منظوم شكل زهور وزرار لاجل بدلات السلطان والسلطانة والدولفين والعيلة جميعهم وهكذا عاملوهم بنظام حتى اذا لبس المذكورون هذه البدلات يكفي أن يبقي (كذا) جميعهم قطعة الماس وحجار كريمة مثل زمرد وياقوت ولؤلؤ وغيره .

وبعد ان نظرنا هذه الكنوز جميعها اخرجوا صندوقاً صغيراً من الذهب وداخله صندوق مثله وداخليهم مخمل ففتحوه فرأينا داخله الماسه حجر اسمها نجمة الكلتيرة قدر جوزة كبيرة وقد نقب كانها كوكب دري وحقاً انها فريدة الدنيا ليس لها مثيل ولا شبيه وقالوا لنا ان كل مرة تسقط هذه الحجر من علو ذراع على الارض يسقط من ثمنها ستماية واثنان وستون كيس دراهم هذا ما قدره الجوهرجية الحذق انظر كم يسقط من ثمنها هذا المبلغ لاجل خسارة نورها وماها وبعد ان تفرجنا انبهرت اعيننا قالوا لنا ان لا يوجد بين جميع هذه (ص ٩٦) ولا واحدة يتساوي اقل من ماية الف غرش ثم اعطونا كراء فرجتنا واحد ذهب بثمانية غروش وخرجنا واستقمت يومين رأسي يوجعني وعيني مثل الاجهر من لمع تلك الاحجار .

وفي ٣ حزيران ارسلت مدامه شطلين Chatelaine ثانية مصاحبجية السلطانة وفرجتنا على خاتم داخله ساعة بندول Pendule مكلفة وكل ثمانية ايام تتركب مرة واحدة وقدر الحجر التي تحتها الساعة قدر مصرية وحك الحجر حك حجر خاتم ياقوت الدارجه وفتحت لنا هذا الخاتم وفرجتنا على دواليب هذه الساعة التي داخله وعلى تلك الساعة التي تدهش العقل وعلى الجنزير الكريش وقالت لنا ان كل ثمانية ايام تركبه مرة واحدة وفي

شغل هذه الثمانية ايام يفرق دقيقتين ام ثلاث واسم المعلم الذي يشتغل هذه الساعة جان باطشتا ساعاتي السلطان فرحنا لعند هذا الساعاتي وابصرنا ساعات اشكال عدة وكل ساعة خمسماية وثمانية واثنى عشر وما فيهم لا احجار ولا جواهر ابداً سوى انه اشغال بصنعه عجيبة من الذهب والفضة وقال لنا ان كل سنة يرسل من شغله عدة ساعات الى كافة الممالك حتى الى بلاد الانكليز وسلطان الانكليز ذاته ناقل من شغلي وارباب دولته جميعهم ناقلون من شغلي .

وفي ٤ حزيران ارسلت ورانا في طلبنا السلطانة في الساعة الرابعة بعد الظهر فمضينا الى عندها ودخلنا الى محدعبد الذي تجلس فيه وجدها فسلمنا على جلالتها وعملت لنا الخضوع اللايق الى عظمتها بكل محبة مسيحية تليق بها واستقمنا عندها قدر ثلاثة ارباع ساعة وهي تسألنا عن رهبنتنا ورهبانتنا وعن احوال البلاد وعن اكلنا وشربنا وعيشتنا وبعد ذلك طلبت مني ان اشركها في شركية الرهبنة التي هي شركية مار انطونيوس فحالاً كان موجود معي ورقة شركية فاخرجتها فاظهرت علامات الفرح كتبت اسمها بالعربي في تلك (ص ٩٧) الورقة وهي كتبت اسمها بالفرنجي بيدها وامرت بان يعملوا لتلك الورقة بروازاً مكللاً وفوقه بلور وعلقتها فوق مرقدها وقبل ان تشترك سألتني هل الذي يشترك بهذه الاخوية اذا ترك شرطاً من شروطها يخطئ خطأً مميتاً ام عرضياً فقلت لها ان عندنا بهذه الشركية ما في شيء تحت خطيئة ولا عرضية سوى الاشياء التي تصير بنوع الاحتقار فتلك الاشياء خطيئة ففرحت بذلك جداً واعطتنا ماية ثلث جسة .

بستان السلطان في بهريز

وفي ٥ منه سافرت الملكة الى كيبانيه ونحن اليوم السادس سافرنا الى بهريز وبعض من جليسات الملكة اعطونا مكاتيب لكي يفرجونا على بعض اشياء في بهريز تخص الملك وهي هذه بستان السلطان في بهريز وفيه من جميع الاشجار الموجوده بالدنيا غرباً وشرقاً وفي الهند ورأينا اشجاراً غريبة عن العقل مثلما تكون تصنيع منها صغار وكبار وفيها مثل بغير ورق وهم كسم غير شكل وعلوهم وكبرهم والاشجار الموجودة في البلدان الحارة ومعلوم ان بهريز باردة ولا يمكن تعيش هذه الاشجار هناك جعلوا لها شكل افران حولها ويوقدون بها النار ليلاً ونهاراً وجميعها محاطة ببلور شكل بيوت كبار

من البلور والنتيجة شيء يدهش العقل وداخل هذا البستان بيوت شكل قاعات كبار وداخل هذه الاماكن من سائر الحيوانات المائية والبرية كل حيوان بحاله من سباع وليوات وثعوره ودب وسعدان واريل وفيل وكركاهند وغير حيوانات ما عرفنا اساميها اشياء غريبة عجيبة وايضاً من جميع الافاعي كل افعى طويلة بنوف عن عشرين ذراعاً وغلظها قدر خابية صغيرة وغير افاعي وحيات مشكلة من كل الاشكال الموجودة في سائر الدنيا وايضاً خلقة بشر مختلفة منهم بشر برأسين وغيرهم اربع ايدي وغيرهم ثم بطنان وغير عجائب وجميع الذين ذكرناهم موضوعون في روح النبيذ داخل البلور ثلجت لكي لا تفسد وابداً تراها كلها كانها احياء ومتحركة ورأينا بعض اعضاء من اعضاء الرجال الجابرة كل ساق رجل عظمها مثل عظم الفيل الكبير ورأينا (ص ٩٨) من كافة الاحجار المعدنية ومن الجواهرات وانواعها ومن كافة انواع واجناس الاصداف البحرية والنهرية العجيبة الخلقة وجميع الاشياء قد تنظرها بصنف عجيب وكل شيء مكتوب عليه اسمه ورأينا اعضاء الانسان كلها كما هي لكي يرى الناظر العقل والدماغ كما هو وقوة الذكر وغيره وان اخذنا نشرح عن الاشياء العجيبة الموجودة بهذا المكان لا يقدر احد ان يصفه وايضاً خارج هذا البستان مخادع ويبوت الصور والشخوصة الملوكية الذي كل شخص وصورة يساوي خزنة مال ثم المكان الذي يشتغلون فيه الطنافس الملوكية الذي كل ذراع منه يساوي خمسماية غرش لانه لا يمكن المصوّر الحاذق يقدر يصور مثل هذا الشغل وكله من الصوف والحرير وفي مكان من هذا المكان موجود اربع وعشرون صورة صور ملكات فرنسا وملوكها هذا عظم مقدار هذه الصور حتى يأتي (زوار) من سائر الممالك لكي ينظروا هذه الصور الفريدات لانهم ما يمكن احد يفرقهم عن حال كونهم وهم احياء.

وماذا احكي عن جرس كنيسة مطران بهريز الذي ثقله خمسة وسبعون قنطاراً حلبياً وموجود اجراس كثيرة في بهريز ثقلها اربعون وخمسون قنطاراً لان ولا كنيسة الا موجود بها عشرة اجراس واكثر واقل لان في سائر الدنيا لا يتوجد احد يدق الاجراس مثل مدينة بهريز فرنسا بعدها لانك اذ سمعت الاجراس تظن ان ارغن عمال يدق لا فرق..

(له صلة)